يوسف.. الجدل .. الاشتباك.. الاختلاف

الكثير من علامات الاستفهام والاسئلة.. فجرها مسلسل (يوسف الصديق) الذى عرضته قناة مصرية.. بعد العرض الأول للعمل الذي سبقه لعامين تقريبا على قناة شيعية.. ورغم ان الدراما الايرانية سبق لها تقديم (مريم) و(أهل الكهف).. وموقف الأزهر معروف وثابت : لا ظهور للانبياء والصحابة المبشرين بالجنة والخلفاء وآل البيت.. ومع ذلك أعاد الأزهر التذكير بذلك لان القناة التى قدمت العمل مصرية وان كانت خاصة وفى عصر السماوات المفتوحة اصبحت مسألة المنع والمصادرة من الأمور المضحكة.. والمنطق يقول إذا لم يعجبك العمل.. رد بأخر.. تعرض فيه وجهات نظرك كما تحب.. وهو أقصى ما يمكن فعله.

وقد تجادل اساتذة التاريخ والدراما حول أمور عديدة بالمسلسل.. الذى بلغت نسبة مشاهدته فى ايران نفسها أكثر من 90٪ وتفوق على غيره من الأعمال.. ربما لأن الشحنة العاطفية الموجودة فى مسلسل يوسف موثقة من القرآن الكريم كما أن القصة تدور شبه مكتملة من اولها إلى أخرها فى سورة واحدة.. والجدل امتد ايضا الى داخل إيران نفسها وكان فى مقدمة الذين انتقدوا العمل «آية الله سبحانى» الباحث والكاتب التاريخى الذى اكد أن المسلسل اعتمد على الاسرائيليات خاصة فى مسألة جمع الرجل بين الأختين.

وهناك من انتقد المسلسل تاريخيا حيث تم الخلط بين الكنعانيين والعبرانيين.. وظهرت الأهرامات فيما كانت دولة الفراعنة أقرب الى صعيد مصر.. الأمر الذى لا يتيح رؤية الأهرام وهناك انتقادات دينية منها زواج يوسف من زليخة فيما بعد خروجه من السجن وتوليه منصب عزيز مصر ومنها الاشارة الى الامام المهدى المنتظر.

ويعود بنا المسلسل فنياً الى فيلم (المهاجر) الذى قدمه يوسف شاهين معتمدا على مسيرة النبى يوسف عليه السلام وكان حافلا ايضا بالمغالطات وهو الأمر الذى وصل بالفيلم الى ساحة القضاء الذى أمر بايقاف عرضه قبل أن يفلح شاهين فى الغاء الحكم.

وكان شاهين قد كتب نسخة فرنسية اوضح فيه ان العمل يتناول سيرة النبى يوسف.. بينما فى النسخة العربية سماه «رام» وهو الذى انقذ مصر من المجاعة.

رؤية فنية

ورغم كل الجدل.. فان المسلسل نجح فى استقطاب المشاهد العربى.. الأمر الذى يؤكد رغبة المتفرج فى متابعة الأعمال الجادة.. ولو نظرنا الى ميزانيته سنجد أنها 7 ملايين دولار أى ما يعادل 40 مليون جنيه مصرى تقريبا فى وقت إنتاجه (2007 تقريبًا) وهو رقم اصبح عاديا فى ميزانيات المسلسلات العادية نظرا لارتفاع أجور النجوم.. وبعضهم يتقاضى ربع الميزانية وحده.. بينما سنجد فى يوسف دقة الديكور وكثرة المجاميع.. وثراء الصورة.. وقد تم ترجمة العمل الى عدة لغات وغطى تكلفته.. الأمر الذى يؤكد أن هناك مؤامرة على المسلسل الدينى والتاريخى فى عالمنا العربى بحجة انه بلا سوق.. والعجيب ان نرصد الملايين لحياة مغنية فى مسلسل يتحدث عن فضائحها الجنسية ونبخل على قصص تاريخنا العظيم الإسلامى والقبطى والعربى.. والناس تبحث عن القدوة.. فى هذا العصر الذى اختلطت فيه الأوراق وتشابكت على الناس حقها بباطلها وصحيحها بطالحها.

اختيار البطل جاء بعد امتحان لاكثر من 3 آلاف شاب يصلح للدور.. حتى فاز به «مصطفى زمانى» المحاسب بشركة خاصة والذى درس الادارة بالجامعة ومارس نشاطا فنيا على مستوى الهواية فقط.. اما السيناريو فقد اشترك فى كتابته 20 مؤلفا تحت اشراف المخرج فرج الله سلحشور الذى كان ذكيا الى حد كبير حيث نقل بحرفية عالية ومصداقية المشاهد الرئيسية كما جاءت فى القرآن الكريم ومنها على سبيل المثال مشهد يوسف مع امرأة العزيز.. وضرب مثلا ونموذجا لمخرجى البورنو وممثلات الاغراء.. عندما قدم المشهد بممثلة ارتدت كامل ملابسها.. وامامها شاب مبهر تراوده عن نفسه بدون ابتذال او انحراف تحت حجة السياق الدرامى.. وهو ما يعنى ان كل شئ ممكن ان يقال.. لكن المهم

كيف يقال؟.. لكن المخرج الكبير فى مناطق أخرى كان يقول كلمته كما يريد.. ورغم ذلك لاننكر عليه جهده الواضح فى العمل الأمر الذى جعل المرشد العام للثورة الايرانية خامئنى يقوم بتكريم فريق العمل.

وقد ذهب مفتى سلطنة عمان الى ما هو أبعد من تحريم ظهور الأنبياء.. الى تحريم الفرجة نفسها على هذه الأعمال.. والتحريم فى حد ذاته اتفق عليه أغلب أهل السنة.

وبعيدا عن التحريم الدينى.. دعونا نسأل بكل هدوء : من هو الممثل الذى يمكنه أن يجسد احد انبياء الله؟ وكيف نضمن له سلوكا فى حياته العادية يتناسب ولا نقول يتطابق مع شخصية النبى التى جسدها. وهل يمكن لنا أن ننسى أنه بشر يخطئ ويصيب بينما الأنبياء لهم عصمة وقداسة فوق مستوى البشر العادى وهل سينظر اليهم أهلهم والمحيطون بهم كأنبياء أو كاشخاص عاديين حتى لو اجبرناهم على الاعتزال نهائيا بعد تجسيد شخصية الأنبياء.

نعم نحتاج أن نغوص فى اعماق الدين وبعيون الدراما.. لكن بدون ان نحطم هذا الحاجز المطلوب بين البشرى والمقدس.. وبعد ان قدمت ايران يوسف وايوب ويعقوب وابراهيم.. ما الذى يمنعها ان تجسد النبى صلى الله عليه وسلم؟

توضيح: قدمت إيران فيلمًا عن سيدنا محمد ﷺ (2010 تقريبًا) من طفولته حتى بعثته الشريفة ولكنها لم تظهر وجهه بشكل واضح.

نظره الى يوسف

قلنا انها السورة الوحيدة فى القرآن الكريم التى ركزت على قصة سيدنا يوسف عليه السلام من الألف إلى الياء بشكل درامى عصرى تماما.. فيه قمة البلاغة والروعة والآيات الثلاث الأولى هى بمثابة التمهيد أو التقديم فأنت فى الفيلم ترى ذلك العنوان الذى يقول لك شركة كذا تقدم.. وهنا نحن أمام انتاج إلهى للواحد الأحد الذى لا شريك له :

﴿الٓر ۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ١ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ٢ نَحۡنُ نَقُصُّ عَلَيۡكَ أَحۡسَنَ ٱلۡقَصَصِ بِمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبۡلِهِۦ لَمِنَ ٱلۡغَٰفِلِينَ ٣﴾.

ولان هناك فى القرآن الكريم سورة تسمى القصص يميز ربنا سبحانه وتعالى سورة يوسف بانها أحسن القصص أو الانتاج الضخم فانتبهوا.

وسرعان ما ندخل الى لب الموضوع مباشرة فى استهلال نموذجى تماما :

﴿إِذۡ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي رَأَيۡتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوۡكَبٗا وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ رَأَيۡتُهُمۡ لِي سَٰجِدِينَ ٤ قَالَ يَٰبُنَيَّ لَا تَقۡصُصۡ رُءۡيَاكَ عَلَىٰٓ إِخۡوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيۡدًاۖ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لِلۡإِنسَٰنِ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ٥ وَكَذَٰلِكَ يَجۡتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكَ وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعۡقُوبَ كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبَوَيۡكَ مِن قَبۡلُ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَۚ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ٦﴾.

** فى هذه الآيات نتعرف على الشخصيات وعلى نقطة الدراما الأساسية فى الأحداث وهى الرؤيا ولا يمكنك ان تفصل بين يوسف ورؤياه.. ولو حولنا هذه الآيات الى مشهد سنجد أنه يضم يوسف وابيه يعقوب.. الابن يحكى لابيه ما رأى.. والأب يحذره أن يفشى سر ما رأى.. والأب لانه نبى.. ورؤية الأنبياء حق.. يدرك.. من خلال الحلم وعدد الكواكب التى رأها يوسف وهى احد عشر

كوكبا (عدد أخوة يوسف من ابيه).. وسجودهم معناه ان هذا الطفل سيكون له شأنه.

ولكن الآيات التالية لا توضح لنا هل كشف يوسف عن سره لاخوته؟.. أم انهم يكرهونه لان ابيه يحبه اكثر منهم؟ والأغلب وكما جاء فى نهاية السورة انه لم يكشف السر.. لكنها الغيرة من اخوته لان يعقوب كان يفضله عليهم وهو الأمر المنطقى لان يوسف وأخيه بنيامين كانا الأصغر.. كما انهما فقدا أمهما وهما الأحوج الى حنانها ورعايتها.

والآيات السابقة قدمت لنا شخصيات القصة وابطالها فى ايجاز بليغ.. وقد اكتشفت وأنا ابحث فى كتب التراث ان الشرح الذى جاء على ألسنة من فسروها كان اجتهادا مشكورا حسب ما توفر لهم فى عصرهم من معلومات وأدوات وفى ايامنا تلك وبالتطور الذى نعيشه قياسا بالسابقين سنكتشف معجزة القرآن الكريم الكبرى وهو يحتفظ بكنوزه.. وعلومه وخباياه جيلا بعد جيل بما يعنى صلاحيته لكل زمان ومكان..

وها نحن نرصد الدراما العظيمة وبقوانين ومنهج ومفاهيم أحدث بلغة العلم فى هذا الميدان.. بل وسنجد فى بعض الآيات فنون المونتاج فى النقل من مشهد لآخر سواء بالقطع الحاد أو المزج فى نعومة أو بالتوازى.

وبعد تقديم الشخصيات والتمهيد للاحداث ورسم ملامح الجو العام للموضوع.. نقف امام الآية رقم (7) ﴿لَّقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ لِّلسَّائِلِينَ﴾ وهى هنا اشبه بعنوان فرعى على مستوى النص.. لكن على مستوى الصورة هى بمثابة فاصل.. أو «نقله» لمستوى جديد من الأحداث.. وبعد مشهد يوسف مع ابيه وتحذيره له. ننتقل الى اجتماع الأخوة وبالتأكيد المكان هنا.. بعيد عن البيت أو مكان تواجد الأب مع يوسف.. والآية التى ذكرناها.. تربطنا بما سبق.. وتمهد لما هو قادم.

﴿ إِذْ قَالُواْ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٨﴾ ٱقْتُلُواْ يُوسُفَ أَوِ ٱطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُواْ مِنۢ بَعْدِهِۦ قَوْمًا صَٰلِحِينَ ﴿٩﴾ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ لَا تَقْتُلُواْ يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِى غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ ٱلسَّيَّارَةِ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴿١٠﴾ ﴾.

وإذا حولنا هذا الجزء الى سيناريو وحوار سيخرج على النحو التالى:

م/8 مكان معزول فى قرية حيرون ن/خ

- **اخوة يوسف.. روبيل وشمعون ولاوى**

ويهوذا وابساخر وزايلون وجاد

وأشير ودان ونفتالى وقد اجتمعوا للفصل فى أمر يوسف

وقد بلغ بهم الغيظ مداه..

كانت علامات الغيرة بادية عليهم

- الكاميرا تستعرض الوجوه الغاضبة

ونلاحظ ان كبيرهم روبيل يخفى فى

نفسه أمرا

- ينطلق شمعون متحفزًا

شمعون : اقتلوا يوسف

- **يهوذا** (مؤكدا) : لقد فاض بنا الكيل من انحياز

ابينا المقيت ليوسف.. أكثر منا

لاوى : نحن عصبة ولنا قوتنا.. وبها

نفرض كلمتنا على ابينا

زايلون : يجب ان ننتهى من هذا الأمر

بأسرع ما يمكن

جاد : علينا أن نقتله ليس امامنا الا هذا

ابساخر : مهلا.. مهلا يجب أن ندرس

الأمر جيدا ونخطط له التخطيط الصحيح

دان : متى يخلو لنا وجه ابينا؟

شمعون : صبراً يا صغير صبراً..

- ثم ينظر الى اخيه روبيل

وقد لاحظ صمته

شمعون : روبيل لماذا لا تتكلم الا

توافقنا على ما نقول!

- **روبيل** : (مترددا ومشفقا فى داخله على اخيه).

روبيل : حقيقة الأمر.. انا لا اوافق على القتل

- **نفتالى** (يسأل مندهشا) : وما البديل؟!

روبيل : نلقيه فى غيابات الجب وقد

يلتقطه بعض السيارة ويأخذونه

وبذلك نتخلص منه بدون ان

نقلته ونسبب الألم لوالدنا

- **شمعون** (ساخرا منه) : لم اكن اعرف بان قلبك

ايها الأخ الاكبر.. يفيض رقة على

هذا النحو؟.. انا مندهش لاجلك

- يتبادلون النظرات فيما بينهم

روبيل : ماذا تقولون فى اقتراحى؟

م/9 بيت يعقوب ن/د

- يعقوب فى لحظة تأمل وابتهال

الى الله..

- يقف شمعون ولاوى ويهوذا

وابساخر وزايلون ..

يقفون حتى ينتهى الاب

من صلواته أو ابتهاله

– يعقوب يلاحظ وجودهم ثم يسألهم : ماذا لديكم يا ابناء

يعقوب؟!

شمعون : يا أبانا مالك لا تأمنا

على يوسف؟

– يتدخل يهوذا متحمسا : كم من مرة يحب الصغير ان

يصحبنا فى العابنا.. لكنك تمنعه

وتحرمه من صحبتنا

زايلون : لاتخشى عليه أنا له ناصحون

وحارسون

ابساخر : نراك فى شك من حبنا

ليوسف.. السنا اخوته

وكلنا ابناء يعقوب المبارك

وانا له لحافظون

- **يعقوب** متشككا فيما يقولون : اننى لا أطيق فراق هذا الصغير

الذى يفتقد حضن أمه ..

ويحزننى ان تذهبوا به.. ثم اننى

أخاف ان يأكله الذئب وأنتم عنه غافلون

- يهوذا وشمعون وزايلون

فى صوت واحد:

كيف يأكله الذئب ونحن

عصبة.. ولا نريد أن

نسبب لك الحزن والألم

ونخسر مودتك لنا وثقتك

فينا ..

- الكاميرا على وجه يعقوب ويبدو انه يفكر فى الأمر

.. الآن قد وصلت إلى الأية رقم 14.. وقد تعمدت ان أترجم الآيات ترجمة حرفية.. شبه مباشرة..

والقاعدة فى كتابة المسلسلات التاريخية والدينية أنك تضع المعلومة كما هى بل وتحقق فيها قبل ان تكتبها وانت اذا رجعت مثلا الى كتاب قصص الانبياء للحافظ عماد الدين ابو الفداء اسماعيل بن عمر بن كثير المتوفى سنة 794 هجرية.. سنجد على سبيل المثال فى مسألة بيع يوسف بدراهم معدودات وكما جاء فى الآية رقم (20) ﴿ وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ ﴾.

هنا يذكر بن كثير : قال ابن مسعود وابن عباس ونوف البكالى والسرى وقتاده وعطيه العوفى : باعوه بعشرين درهما اقتسموها درهمين درهمين وقال مجاهد : اثنان وعشرين درهما وقال عكرمة ومحمد ابن اسحاق : اربعون درهما والله أعلم..

وقس على ذلك فى مواضع كثيرة عن اماكن وتواريخ وأعمار وما الى ذلك..

ويسأل السيناريست نفسه : من اين جاء هؤلاء المشايخ بالمعلومات التى تم ذكرها وكأنها اليقين؟.. وكل ما يذكره بن كثير قال فلان وقال فلان.. لكن ما هى مصادرهم؟.. لا يذكر..

وكلها اجتهادات والمطلوب من الكاتب الذى يحترم عمله وقبل ذلك دينه.. ان يدقق ويحقق.. فالخط الرئيسى للاحداث واضح جدا ولا خلاف عليه.. لكن كتابه السيناريو والحوار هى عملية البحث عن التفاصيل الصغيرة.. وهو ما اجتهد فيه بحق الكاتب المخرج الايرانى فرج الله سلحشور مؤلف مسلسل «يوسف الصديق».. وهو ايضا الجهد الذى يبذله كل كاتب قرر ان يستثمر عمله الدنيوى هذا فى كشف امور دينه بطريقة مؤثرة وجذابة.. لذلك يأخذ مؤلف المسلسل الدينى والتاريخى اضعاف الاضعاف من الجهد الذى يبذله كاتب المسلسل الاجتماعى المعاصر.

وقصة يوسف تقدم لنا لمحة من فن المكياج وأيضا التروكاج اى الخدع..

عندما ذبحوا الشاة الصغيرة وغمسوا قميص يوسف فيه حتى تتم الحبكة من وجهة نظرهم فى مسألة ان الذئب قد أكله.. وقد جاءوا اباهم عشاء يبكون.. وقد تعمدوا ان تكون عودتهم ليلا.. لاكثر من سبب.. اولا لاقناع الأب بأن الحزن قد استبد بهم على مصرع يوسف واختيار الليل يعنى انهم حاولوا البحث عن يوسف رغم المخاطرة فى ذلك مع الذئاب ليلا.. ثم ان تقديم القميص وعليه الدم ليلا أفضل من ان يتم ذلك فى ضوء النهار ومن يتعلم كتابة السيناريو عليه أن يعرف بان اختيار زمان ومكان المشهد مسألة مهمة جدا.. ولذلك تجد مشاهد الوداع.. تتم غالبا عند الغروب وهو مناخ مناسب للمشاهد الحزينة.. بعكس اختيار وقت الشروق.. أو وضح النهار.

ولو طبقنا اسلوب المونتاج على عملية السرد فى القصة سنجدها تتم كما قلت سابقا باكثر من اسلوب.. ونحن امام ايقاع سريع بلا زوائد.. ﴿ وَجَآءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا۟ وَارِدَهُمْ فَأَدْلَىٰ دَلْوَهُۥ ۖ قَالَ يَٰبُشْرَىٰ هَٰذَا غُلَٰمٌ ۚ وَأَسَرُّوهُ بِضَٰعَةً ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍۭ بَخْسٍ دَرَٰهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلزَّٰهِدِينَ ﴾ ثم جاءت النقلة مباشرة الى مصر. ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِى ٱشْتَرَىٰهُ مِن مِّصْرَ لِٱمْرَأَتِهِۦٓ أَكْرِمِى مَثْوَىٰهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا ۚ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُۥ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾.

وتتواصل القصة فى تنويعات مختلفة ومتشابكة بين ما هو اجتماعى ودينى واكشن فنحن امام جريمة وعملية خداع وهناك فاصل يشتد فيه عود يوسف وقد آتته الحكمة وحصل العلم.. والتمهيد هنا ضرورى جدا.. لان المشاهد الغالبة يمكن تصنيفها جنسيا.. بين رجل وامرأة جميلة تراوده لكننا فى كل الأحوال يجب الا ننسى اننا أمام قصة نبى فى كتاب مقدس من عند الله لا يأتيه الباطل من بين يديه أو من خلفه.. وليس الهدف من القصة التسلية وتمضية وقت الفراغ.

وفى دراما القرآن الكريم اشكالية خطيرة يجب الانتباه اليها.. فالكاتب فى الدراما العادية يمكن أن يضيف شخصية أو يشطبها ويتلاعب بالأحداث.. وقد

يبدأ من نهاية القصة أو منتصفها.. ويقدم طريقة السرد التى يختارها لعرض موضوعه وبالتأكيد الموضوع يفرض شكله على مؤلفه. لكن فى الدراما القرآنية.. مساحة الحركة محدودة فى اطار النص القرآنى وما به من احداث.. وفى قصة يوسف.. نجد قفزات.. هائلة.. من حدث الى حدث.. ومن هنا لجأ كاتب السيناريو الى شغل هذا الفراغ بالرجوع الى مصادر عديدة.. وهو ما يوضحه لنا مخرج العمل ومؤلفه الايرانى فرج الله سلحشور فى لقاء صحفى جرى معه.. حيث قال : ان 20 باحثا ومؤلفا ساهموا معه فى كتابة السيناريو والحوار واستغرق العمل فى النص التليفزيونى 4 سنوات.. واستعانوا فى ذلك كما يقول بكتب التفاسير والتاريخ الحديث وبعض كتب المذهب السنى.. حتى توفرت لديهم اكثر من 8 آلاف صفحة وخرج السيناريو فى 1800 صفحة من خلال 54 حلقة اى ان الحلقة مكتوبة فى 40 صفحة وفى المتوسط يتراوح زمن الحلقة بين 40 : 45 دقيقة.. لأن السيناريو على الورق يختلف عند تصويره وفقا لايقاع المخرج وطبيعة كل مشهد.. وهناك مخرج اذا اراد أن يصور البطل وهو ينتقل من مكان الى مكان يقدم ذلك فى لقطات سريعة بالكاد تصل الى دقيقة.. وهناك مخرج آخر.. يضع الكاميرا فى اكثر من زاوية.. لكى يرصد لنا الحالة النفسية للبطل وهو فى طريقة وهو بذلك يريد أن يربط بين مشهد سابق.. ومشهد قادم واحجام اللقطات والخلفية الموسيقى وعمليات التقطيع من لقطة الى أخرى فى المونتاج تتحكم فى ايقاع المشهد كما ذكرت.. والقاعدة تقول ان كل تصرف أو حركة أو كلمة لها مدلولها فى الدراما.. وفقا لمهارة المبدع الذى يكتب.. والمبدع الذى يخرج ويتحكم فى ادواته المختلفة.

ويقول «سلحشور» انه كان ينوي تقديم قصة النبى يونس عليه السلام.. لكن هناك من نصحه بأن يبدأ بقصة يوسف لانها متكاملة بخلاف قصص سائر الأنبياء التى جاءت متفرقة عبر سور القرآن الكريم.. ويضيف: كان تركيزنا على النبى يوسف كنموذج للتوكل على الله والصبر والرجولة والفتوة.. وهو ايضا القيادى الناجح الأمين على خزائن الأرض.. ولم يكن اظهار جمال يوسف عليه السلام هو

الهدف الرئيسى.. ومع ذلك تم اختيار الممثل الذى لعب الدور (مصطفى زمانى) من بين 3 آلاف شاب واستغرقت عملية الانتقاء حوالى 21 شهرا ومصطفى لم يسبق له التمثيل كمحترف وهو محاسب باحد الشركات ومن مواليد عام 1983 وقد تدرب على ركوب الخيل وتدريبات الاداء الصوتى ويعترف سلحشور بان مهمته لم تكن اخراج العمل.. بقدر ما كانت التلبيغ.. وقد كان شغوفا منذ صغره بالقصص القرآنى.. ويمكن استثمار الفن الدرامى فى تقديم القصص لملايين المشاهدين خاصة لمن هجروا القرآن الكريم واصبح وجوده لديهم للبركة فقط.. وليس للقراءة والتدبر وقد لعب الدوبلاج دوراً مهما فى نقل الصوت من اللغة الفارسية الى العربية ولغات أخرى فى نجاح العمل.. وقد تمت عملية الدبلجة فى لبنان.

وحول التفاصيل التى قدمها سلحشور ومن اين جاء بها قال :

** اعتمدنا كثيرا على كتب أهل السنة وهم يقدمون التفاصيل الصغيرة اكثر من المفسرين الشيعة وبما يتطابق مع الآيات القرآنية.. وتخلينا عن وقائع وأحداث غير مقنعة.. وكنا بذلك اشبه بمن يمشى على الصراط.. وساعدنا على ظهور النبى يوسف عليه السلام ان الثقافة الشيعية لا تمانع فى ذلك.. واخفاء وجه النبى واظهار هالة نور بديلا عنه أو عدم ظهوره نهائيا.. لا يترجم القصة القرآنية على النحو الاكمل.. وفى الغرب قدموا العديد من الأنبياء فى افلامهم ومسلسلاتهم ولا نستطيع أن نمنعهم.. ولا يمكن ان نترك لهم الساحة خالية يتحركون فيها وحدهم ويصورون انبياء ورسل الله كما يريدون .

وقد سألوا المخرج المؤلف عن جمع النبى يعقوب عليه السلام بين الأختين وهو أمر محرم شرعاً فى القرآن الكريم واجاب سلحشور قائلا :

* قبل الاسلام لم يكن محرما الزواج من اختين وهذا الشئ ايضا القرآن يشير اليه الآية (23) من سورة النساء يقول عندما يذكر النساء اللائى حرم الزواج منهن مثل الأم والاخت والعمة وفى آخر الآية يأتى أن تجمعوا بين الاختين ايضا محرم

إلا ما حصل فى السابق وعلى هذا فإن الكثير من المفسرين بناء على ذلك يقول أنه فى الماضى لم تكن هناك اشكالية حتى ان هناك بعض التفاسير تشير الى ان ذلك المراد منه شرح قصة يعقوب وزواجه من اختين وايضا هناك رواية تقول انه حتى فى ايام النبى (صلى الله عليه وسلم) ان الناس الذين كانوا تزوجوا من اختين راجعوا الرسول الاكرم وقالوا له نحن تزوجنا من اختين ماذا نفعل الآن بعد هذه الآية التى نزلت من الله (سبحانه وتعالى)؟ فرد الرسول الا ما قد سلف ولكن من الآن فصاعد ذلك سيكون محرما والمرجع الشيعى آية الله سبحانى ايضا اشار فى وقت سابق قال انه فى الماضى لم تكن هناك اشكالية لكى يتزوج المرء من اختين ولكن هناك من اعترضوا على ذلك والاختلاف أمر طبيعى.. وقد اعترض البعض ايضا على بعض التفاصيل التى تم عرضها فى المسلسل من قبيل رمى يوسف فى الماء وقد حملته الصخرة مثلا وقالوا من اين لكم كل هذه التفاصيل وقال فرج الله : هذا الشئ استخرجناه من بطون الكتب والمورد والمصدر موجود ولكن الدليل العقلى لا ينافى ذلك على ضوء الكشوفات والكرامات التى تظهر للرسل والانبياء والعقل ايضا يعترف بذلك والنبى عندما يسقط فى بئر وربما الماء تغرقه فان الله (سبحانه وتعالى) ينقذه بواسطة صخرة.. والعقل ايضا لا ينفى ذلك بالاضافة الى ان هناك أو جذور روائية الى جانب كل الروايات الموجودة ايضا وهذا الحدث موجود حتى فى كتبنا وابحاثنا وتحقيقاتنا المعتمدة على الروايات وهي تتضارب وهناك روايات تتطلب النقاش ، ولا يمكن القطعية والجزمية بها لذلك فمن الافضل ان نلجأ الى الرأى الراجح المشهور والاكثر شهرة ونحن من بين كل هذه الآراء المختلفة انتخبنا رأيا خاصا واذا كان هناك من يقول ان القول الثانى هو الافضل اذن عليه ان يأتى بوثيقة ونحن اعتمدنا كتاب «الميزان» وأية رواية أو حكاية تتطابق مع الميزان اخترناها وبذلك انقذنا انفسنا من هذا التضارب الكبير فى الآراء والعمل الذى قمنا به كان فقط من منطلق تقديم خدمة عباد الله وهو اكبر توفيق من الله به علينا ونطلب الدعاء فهو جائزة بالنسبة لنا لأنه دعاء الخير.

***

نحن نعترض

واغلب الاعتراضات على المسلسل اتجهت الى ظهور النبى يوسف.. وهناك من رفض تقديم الدراما نهائيا من وحى القرآن الكريم وبشكل قاطع لان الاسلام فى وجهة نظره ضد الفنون والغناء والموسيقى ويرى ان من يلجأ الى ذلك هم «خوارج».. ويرى ان الحضارة الاسلامية متميزة وربانية وغير قابلة للتطور وهو يفصل بين الثقافة الاسلامية والمدنية.. لكن بعضهم يعترف بأن المسلم يمكن ان يستفيد من التكنولوجيا المدنية فى توصيل رسالته وهو كلام متناقض.. وابعد من ذلك يؤكد ان التمثيل والفن عموما ليس علامة أو وسيلة لنهضة الأمة.. وفى مسلسل «يوسف» فتنة عظيمة وكبرى فلا يصح تجسيد الأنبياء وهى الشخصية التى برأها الله من كل دنس وعيب ولا يوجد من بين بنى البشر عموما والفنانين بصفة خاصة من نأمنه على تجسيد تلك الشخصيات فهو قد يظهر على انه «نبى» ثم فى عمل أخر كشيطان.

وقالت الاعتراضات أيضًا :

القصة القرآنية جاءت عارضة في محطات غير متصلة من حياة النبى، فلا تتعدى القصة الموقف الذى تبينه لعبرة ما، فقد بينت سورة يوسف، وهى المصدر الوحيد لقصة سيدنا يوسف عليه الاسلام فى الإسلام، محطات من حياة النبى الكريم ابن الكريم، فكانت محطة الطفولة وإلقائه فى الجب، ثم محطة استرقاقه وعيشه فى بيت العزيز خادما له وله ولامرأته حتى اكتماله رجلا، ثم محطة محنته والتى انتهت بسجنه بضع سنين، ثم الخروج من السجن وتوليته مهمة توزيع القمح على الناس فى سبع سنوات متتالية، وأخيرا مجئ أهله إلى مصر واعترافهم بالخطأ.

وما بين كل محطة وأخرى فاصل زمنى طويل سكت عنه النص القرآنى، ولا

يوجد أحاديث صحيحة تملأ الفراغ الزمنى كله بحيث يخرج المشهد متصلا وكاملا بكل جزئياته التى يبحث عنها فن التمثيل، وذلك لأن الهدف من القصة في القرآن الكريم غير الهدف من القصة الدرامية، التى تؤلف لتمثل، فإذا كانت الرواية المكتوبة كفن سردى غير تمثيلى تعدل وتغير ويزداد عليها وينقص منها عند تحويلها لفن التمثيل، وهى القريبة على هذا الفن باتصال أحداثها ومحطاتها ومع ذلك لم تسلم، فما بالك بالقصة التى تؤدى أهدافا غير ما يراد لها.

وعلى ذلك فإن كل مرحلة من مراحل قصة يوسف عليه السلام لا تمثل مشهدا تمثيليا كما يريد الفن، فهناك أشياء لا تظهر وتظل غائبة لطبيعة القصة، فبأى حق يأتى كاتب القصة أو السيناريو ويدخل مع النص القرآنى ما يكمل تلك التفاصيل الغائبة، فهذا مدخل خطير ورجم من الغيب، لأنه يمس حياة الشخصية (النبى)، فيصير التصور الذهنى هو الحكم لتتكامل كل جوانب حياة الشخصية وعرضها متصلة، مما يعطى العقل البشرى مجالا للعبث والزيادة بأحداث لم يكن يحكمها اليقين، وهذا أمر غير جائز البتة، وهذا مختلف كل الاختلاف عن كتابة قصة وهمية من عالم الخيال، فاكتب فيها ما شئت من التفاصيل فمسموح لك ولا غبار عليك فيه، شريطة الانسجام التام مع الأساس ، أما أن تكتب مسلسلا كاملا تعنى فيه بالتفاصيل كلها ويرسم الدقائق غير المستندة إلى دليل أو واقع، سواء فى ذلك مسلسل سيدنا يوسف أو مريم القديسة، أو قصة أصحاب الجنتين، أو غيرها من القصص القرآنى، فهذا لا يصح بأى حال من الأحوال.

والخطأ فى هذه المسألة ليس وليد الوقت الراهن، بل هو من ذلك الوقت الذى تجرأ فيه البعض وأخذ على عاتقه مهمة تجسيد القصص القرانى، فقد سبق مسلسل سيدنا يوسف عليه السلام تمثيل قصة أهل الكهف، وقد تبنى أحدهم بوجهة نظره أن العدد سبعة، فمن أين أتى بهذا؟ وبعضهم يتبنى أنهم ثلاثة، وهكذا؟ صحيح أن العدد لايهم فى هذه القصة القرآنية، لأنه لا يتوقف عليه عبرة ما، ولكن التفاصيل مهمة فى فن التمثيل، ونحن هنا لا نريد أن نجادل فى

التفسيرات والتأويلات المحتملة وغير المحتملة، فهى لأهلها والعالمين بها، ولكننى معنى بالدرجة الأولى بالفكرة الأساس وهى اختيار العدد وإعداد السيناريو والحوار، ومعظمها يحكمه التصور الذهنى .

واستشهد براي الكاتب الفلسطيني «فراس حاج محمد» الذي يقول:

أخشى ما يخشى أن يأتى يوم على الناس يكتفون بأناشيد المنشدين، والركون إلى أعمال الفن الهابط مهما بلغت من إتقان، وتكون هى المدخل السلس والقوة الناعمة التدميرية لقوة ارتباط الناس بالقرآن ومصادر الثقافة الاسلامية عموما، فلا يكادون يعرفون شيئا خارج دائرة الفنون من مسلسلات وأفلام وأغان، فيستغلق عليهم القرآن ومعانيه، فما دام أن هناك مسلسلا يشرح قصة يوسف وبينها فلماذا تقرأ الآيات!!، وقد وجدنا شيئا من ذلك فى تهاتف الناس لسماع صوت القرآن مجودا بصوت المقرئين من ذوى الأصوات الحسنة الندية، وأقولها صادقا، وقد سمعتها من قبل : إن البعض يسمع للقرآن طربا وترنما، وليس تقوى وإيمانا، والله أعلم بالجميع.

ويختتم فراس مقاله الذى جاء فى شكل رسالة وجهها الى الدكتور جبر خضير البيناوى الاستاذ المساعد بقسم اللغة العربية بكلية الآداب جامعة النجاح الوطنية الفلسطينية. يختتم مقاله بالهجوم على الثورة الإيرانية وعلى الشيعة عموما.. وهو بذلك يخرج من الدرامى الى السياسى.

موقف مختلف

** يقول الكاتب والشاعر (السودانى هاشم صديق) فى مقال يعبر فيه عن أعجابه بمسلسل يوسف.. من وحى اعجابه بالدراما الموجودة فى القصة القرآنية ونشره الكترونيا بعنوان : «دراما القرآن.. يوسف تطارده الأفعى».. جاء فيه :

لم يحدث أن كتب كاتب فى تاريخ التراث الدرامى منذ فجر التاريخ وحتى الآن مسرحية كل شخوصها (ملائكة) أو بشراً أخياراً، لأنها ببساطة تصبح (لا مسرحية) عندما ينتفى (عنصر) صراع (الأضداد) وأمامنا التاريخ و(أحسن القصص) التى رواها كتاب الله القرآن الكريم وتعالوا إلى سورة «يوسف».

وليس هناك من مثال أبلغ وأحكم وأعمق من تلك السورة فى التدليل على قيمة (أحسن القصص) فى تعليم الناس، واخذ العبر وتشريح اغوار النفس البشرية واضاءة عتمتها (ودعك من مجلدات علم النفس أيضا) فلا يعلم خفاياها وأغوارها وتضاريسها مثل الذى (سواها) وليس هناك مثال اقدر على الرد، أو على توضيح قيمة (الصراع الدرامى) بنقيضه (سالبه وموجبه) فى تركيز قيمة ما ينفع الناس من قيم (خير وحق وجمال) مثلما يتضح من خلال (المعمار القرآنى) البديع فى تلك القصة المحكمة والبليغة، بل وليس هناك مثال يستطيع أن يتعلم منه (أهل الدراما) قوة البناء الدرامى، وتماسكه وجذالة ودلالة العبارة، والقدرة على الايجاز البليغ والتلميح الموحى البديع ورسم الشخصيات، والحوار القصير المعبر، والحركة الهائلة فى (الحدث) أو (الفعل) مثلما فى هذه السورة القرآنية المذهلة.

ان الله الذى لا يستحى (أن يضرب مثلاً ما بعوضة فما فوقها) جعل قطبى الصراع كما هو، ومن واقع الحياة كما حدثت احداثها وهو صراع بين (أخوة)

استغل الشيطان احساس الغيرة فيهم من حب ابيهم لاخيهم (يوسف) حتى ارادوا التخلص منه بأن القوا به فى (غياهب الجب). ولم يقل الله سبحانه وتعالى من خلال القصة ان علاقة (الدم و الرحم) هى (الحصن الحصين) من نوازع (الشر) وانما اكد على لسان (سيدنا يعقوب) فى تحذيره لابنه من ان (يقص) لاخوته (قصة الحلم) بأن الكيد والمكيدة (نزغ الشيطان) وارد ولذلك عليه الحذر من اخوته، وقد كان (يعقوب) ببصيرة (النبى) و(الاب) الذى يعرف ابنائه يسطيع ان يرى ما وراء (الظاهر) الى (ظلمات الباطن) ولنرى كيف يروى الله سبحانه وتعالى بداية القصة بعد ان خاطب رسوله الكريم قبلها فى الأية (3) من سورة (يوسف).

﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴾ لاحظ التأكيد على ان الله يقص على رسوله الكريم (احسن القصص) ثم يبدأ (مشهد قرأنى) بديع فى الاية الرابعة من السورة : ﴿ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ إِنِّى رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِى سَٰجِدِينَ ﴾ ثم بتحذير يعقوب لابنه فى الاية الخامسة من السورة : ﴿ قَالَ يَٰبُنَىَّ لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰٓ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا۟ لَكَ كَيْدًا ۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾.

بدأت القصة بالرؤية او الحلم وهو الرمز العميق الذى يفسر كل القصة فى النهاية وهو ايضا يقترن بمعجزة (سيدنا يوسف) فى القدرة على تفسير الاحلام او تأويل الاحاديث) كما ورد على لسان يعقوب فى الاية السادسة من السورة.

﴿ وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعْقُوبَ كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾.

ونقول للذين يرفضون (قصص الدراما) لانها تأتى بشخصيات سلبية أن (القرآن الكريم) فى قصصة البديعة التى نقلها لنا من (واقع) حياة انبياء ورسل كانت تزخر بالصراع بين الاضداد ولابد من شخصية سالبة فى مواجهة نقيضها وقد بدأ ذلك منذ قصة الخلق قبل ان (يهبط ادم وحواء) الى الارض، وكان ذلك

الصراع فى ذرى سامقة (الجنة) وبدأ ذلك الصراع بين الانسان (أدم و حواء) والشيطان (ابليس) وهو صراع لن يتوقف ولن ينتهى كما اكد الله سبحانه وتعالى الى ان يرث الله الارض ومن عليها.

آيات للسائلين.

فى سورة (يوسف) اخوة اشرار (وامرأة) شهوانية تطارد (فتى صاعق الوسامة، وتطلب منه ان يمارس معها (الجنس) ولأنه نقيض (الفحشاء والمنكر) فانه يرفض و عندما تحاصره وتضيق علية الخناق، وتغلق الابواب. ويوشك ان يضعف من فرط ذلك الحصار الرهيب، وسحر الترغيب فانه يستغيث بربه، فيصرف عنه السوء والفحشاء لانه من (عباده الصالحين)، ويعدو (يوسف) الى الباب هرباً منها مقاوماً رغبتها ومنتصراً على ضعفه الانسانى (بعون ربه) فتمزق قميصه من الخلف وهى تحاول الامساك به، وجره اليها ويتصاعد ايقاع الاحداث كما يقصها (المعمار القرآنى) الفريد لدرجة تحبس أنفاسك حتى لو قرأت السورة مليون مرة، ويصل المشهد ذروته عند الباب عندما ترى زوجها عنده تماماً وبسرعة بديهة لشخصية ماكرة، شهوانية، ابدع الله سبحانه وتعالى فى رسمها وتشريح ابعادها وأغوارها، تقول لزوجها بسرعة بديهة ماكرة ومذهلة (ما يعكس الصورة تماما وذلك دائما هو منطق الشر) وأنظر إلى الآية 25 من نفس السورة، ففى آية واحدة وايجاز بديع، وتصوير أخاذ و(حركة متصاعدة)، يصور الله مشهدا تكاد الصورة تقفز من وراء كلماته وتكاد ومن فرط دقة التصوير وروعته أن ترى الحدث بأم عينيك، وتسمع فحيح امرأة تشتهى رسولاً وسيماً تطارده الى الباب، وتكاد تسمع صوت تمزيق قميص الرسول بمخالب شهوة تلك المرأة، وتكاد الصورة (تقطع) من (لقطة انسابية) تتابع المرأة والرجل فى المطاردة الى (**ZOOM IN**) سريع على وجه الزوج خلف الباب ويوسف يفتحه باستماتة وسرعة، محاولاً الهروب، اننى أكاد اسمع موسيقى (ربانية) تتابع المشهد عند ذروته (لدى الباب)، ولنستعيد التصوير القرآنى المذهل لكل هذا المشهد فى آية واحدة فقط هى الآية (25) وما

أروع سحر البيان.

﴿ وَٱسْتَبَقَا ٱلْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُۥ مِن دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا ٱلْبَابِ ۚ قَالَتْ مَا جَزَآءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوٓءًا إِلَّآ أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾.

ودعك من بقية القصة فهى راسخة في الأذهان نحن نود أن نقول فى النهاية أن الصراع هو جوهر (القصة) و(الدراما) هى قصة نفخ فيها من روح الحركة، وأن الصراع يتمثل دائما بين قيمتين، سالبة وموجبة، والعبرة فى الخلاصة النهائية بما ينفع من دروس وعبر فى القصة كلها.

فى سورة يوسف صراع بين شخصية خيرة (يوسف) وأخوة أشرار، وامرأة أدوات سطوتها أنوثتها وشهوتها، وفى سورة (يوسف) كل عناصر الدراما من (صراع) و(أحداث) و(مشاهد) و(حوار) بلغ أكثر من ثمانين جملة حوارية من (قال وقالوا، وقالت، وقلن) وفى القصة بناء درامى من (عرض وعقدة وحل) ولكن يضاف الى الحل عنصر (المناقشة) اذ لم تكتفى السورة فى النهاية باجتماع (يوسف وأسرته) وإنما علقت على القصة فى (الدراما) واستخلصت العبر (ولا تقولوا بعد الآن أن الذى أدخل عنصر (المناقشة) مكان الحل هو هنريك أبسن) وما أجمل وأروع آية الختام بعد عنصر المناقشة فى الآية (111) :

﴿ لَقَدْ كَانَ فِى قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾.

بين الأحداث

عندما ذكر الكاتب والمخرج الإيرانى الشيعى فرج الله سلحشور بانه لجأ الى كتب السنة ووجد فيها الكثير من التفاصيل علينا أن نصدقه فى ذلك.. وما عليك الا أن تتصفح قصص الأنبياء فى كتاب «ابن كثير».. لتجد ان منهجه فى سرد القصص يعتمد على ذكر كل ما وصله من أخبار وبصرف النظر عن مصدره.. واحيانا يستخدم تعبير «قيل كذا» بدون ان يذكر من القائل؟

وعلى سبيل المثال نتوقف عند زواج يوسف من زليخة وتمكين الله له فى ملك مصر فيقول ابن كثير تحت هذا العنوان :

** إنه لما مات : «قطفير» الحاكم الذى ربى يوسف.. امر الفرعون بان يتزوج يوسف من زليخة فوجدها عذراء لان زوجها كان لا يأتى النساء فولدت ليوسف رجلين وهما افرايم ومنشا.

قال : واستوثق ليوسف ملك مصر وعمل فيها بالعدل فأحبه الرجال والنساء (هذه الفقرة لا ندرى من قالها) ويستطرد! ابن كثير : وحكى ان يوسف كان يوم دخل على الملك عمره ثلاثين وان الملك خاطبه بسبعين لغة وفى كل ذلك يجاوبه بكل لغة منها فأعجبه ذلك مع حداثة سنه فالله أعلم وهنا نسأل هل فى هذا الزمان كانت توجد 70 لغة معروفة؟! ثم ان سن الثلاثين ليس بالحداثة التى يمكن أن توصف به مقارنة بالعشرين مثلا.. لكنها سن نضج للشباب.

وابن كثير اضافة الى ذلك ينقل كل ما يصل اليه.. من معلومات.. سواء كانت مجهولة المصدر أو من أهل الكتاب من الانجيل أو التوراة.. وعلى هذا النحو كان «سلحشور» يجمع معلوماته.. من هنا وهناك ثم يقارن ويختار مع اننا لا نستبعد الهوى الشيعى فى مواضع كثيرة من القصة فى المسلسل الدرامى.. ونصوص القصة القرآنية دون غيرها من سائر القصص التى يكتبها البشر.. هى الحق والحقيقة.. بينما القصة البشرية توحى بأنها تقدم الحقيقة.. ومؤلفها له مقصده الخاص فيما يكتب.. وهى نقطة فى غاية الأهمية ويجب على كاتب الدراما الدينية ان يكون حذرا للغاية فى جمع التفاصيل.

وتحت نفس العنوان يشرح آيات السورة وان كانت واضحة ومباشرة ﴿ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَآءُ ﴾ اى بعد السجن والضيق والحصر صار مطلق الركاب بديار مصر ﴿ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَآءُ ﴾ أى اين شاء حل منها مكرما محسوداً معظماً.

ويمضى ابن كثير على هذا النحو.. ثم يبدأ فقرة أخيرة ويستهلها على هذا النحو :

ويقال : ان قطفير زوج زليخا كان قد مات فولاه الملك مكانه وزوجه امراته زليخا فكان وزير صداق (لاحظ إنه كرر نفس المعلومة من قبل).. ويضيف :

وذكر محمد بن اسحاق ان صاحب مصر أى فرعونها أو حاكمها «الوليد بن الريان» اسلم على يدى يوسف عليه السلام والله أعلم.

وبالنظر الى التاريخ والمصادر العديدة ان يوسف عاش فى العصر الفرعونى فمن اين جاء «بالوليد بن الريان»؟!!

وقد رجعت الى اكثر من مصدر للبحث عن الوليد ولكنى وجدت معظم المواقع نقلت «بن كثير» فى كل ما قال بشكل حيرنى ودون جدال رغم تعدد الأقاويل.

وتستمر أحداث السورة العظيمة فى اعجاز إلهى.. لا يمكن بحال مقارنته بما يبدى البشر.. لكنها المخاليق تأخذ من الخالق.. وهذه هى حكمة ربنا سبحانه وتعالى فى ضرب الأمثال للناس لكى يقرب المسافات بين عباده.. وبين ملكوته فى الماضى والمستقبل وفى الارض والسماء وما بينهما.. ونحن هنا عندما ننظر بعين عصرنا الى القرآن الكريم الذى نزل على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم منذ اكثر من 1400 سنة.. نجد فيه مفردات عصرنا وادواته وفنونه بما يؤكد اعجاز كتاب الله واستمراره من جيل إلى جيل إلى أن يرث الله الارض وما عليها.. وأسرار الكتاب لم نكتشف.. إلا النذر اليسير منها.. وسبحان علوم الغيوب.

أنظر مثلا إلى تصرف يوسف عليه السلام مع اخوته.. عندما جاءوا يطلبون طعاما ولكنه لم يكشف عن شخصيته ومنع عنهم الكيل حتى يأتى اخوته باخيهم الصغير بنيامين.. وكأنه بذلك ينعش ذاكرتهم بما فعلوا معه.. وعادوا الى ابيهم واخبروه بما جرى فأخذ عليهم ميثاقا وتعهدوا له بالمحافظة على بنيامين والا يكرروا ما فعلوا مع يوسف.. الذى وضع مكياله فى متاع أخيه حتى يحتفظ به

بحجة أنه سرق.. وكلها تصرفات درامية بحتـه.. وفيهـا دروس للنفـوس.. وبلغـة العصر او لغة الدراما درجة قصوى (ميلودراما) عندما رجعوا بقميص يوسف ارتد البصر الى الأب يعقوب.. وسنجد ان السورة كما بدأت بالرؤيا.. انتهت بها ايضا :

﴿ فَلَمَّا دَخَلُوا۟ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ٱدْخُلُوا۟ مِصْرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ ﴿٩٩﴾ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَخَرُّوا۟ لَهُۥ سُجَّدًا ۖ وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَىَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّى حَقًّا ۖ وَقَدْ أَحْسَنَ بِىٓ إِذْ أَخْرَجَنِى مِنَ ٱلسِّجْنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلْبَدْوِ مِنۢ بَعْدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيْطَٰنُ بَيْنِى وَبَيْنَ إِخْوَتِىٓ ۚ إِنَّ رَبِّى لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٠٠﴾ ۞ رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِى مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِى مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِىِّۦ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ تَوَفَّنِى مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴾.

التذكر بالرؤية يعنى بالمفهوم الدرامى ان تبدأ بنقطة وتنتهى عند نفس النقطة وهـو ما يعرف بالدراما الدائرية.. ثم أنظر كيف لخص يوسف فى كلمات قليلـة لابويـه مـا جرى معه فى نقاط قليلة كافية واختار هذا التحول من فترة سـجنه الى حضـورهم مـن البدو وما بلغه من المكانة الرفيعة.. ومن بـاب الأدب يصـف مـا حـدث بينـه وبـين اخوته انه نزغ من الشيطان وكانوا قد اعترفوا بذنبهم وتابوا الى الله وليس هناك ما يدعو للتأنيب.. وهو فى نهاية الآيات يشكر ربه ويحمد فضله ويدعوه ان يلحقه بالصـالحين والمشهد جليل وفيه مجاميع فى ديوان يوسف أو مقر حكمه ثم سجود الأبوين تقديرا واحتراما ليس الا.. فالسـجود لا يكـون الا لله.. والـدليل انـه رفعهمـا الى العـرش فى حضور اخوته.. وهكذا كانت تحية أهل مصر لحكامهم.

وكما قال ربنا سبحانه وتعالى انه احسن القصص.. تختتم السورة بقول الله : ﴿ لَقَدْ كَانَ فِى قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾.

وبالأرقام سنجد أن عدد آيات السورة 111 آية.. ويقـول بعـض المفسـرين ان يوسف عليه السـلام تـوفى وهـو ابـن 110 سـنوات أى تقريبـا نفـس عـدد آيـات السورة.. فاننا لا نعرف فى أى شهر توفى ولا فى أى شهر ولد.. كمـا ان هـذا العمـر

محل جدال لان هناك من يقول انه مات عن 120 عاما والله اعلم.

هكذا تحدثت الدراما

رأيت من الواجب ان أقوم بتفريغ الحلقة الأولى من المسلسل الايرانى «يوسف الصديق» لعدم وجود نص مكتوب نرجع اليه.. حتى نعرف كيف تناولت الدراما سورة يوسف.. والحلقة الأولى دائما فى اى مسلسل هى البوابة التى يمكنك من خلالها النظر الى العمل.. لانها تمثل الأرضية التى يتم البناء عليها.. وقد جاءت الحلقة فى 21 مشهدا وهو ما يعنى أن أغلبها من المشاهد الطويلة الحاشدة بالمجاميع والحركة وهو ما ميز المسلسل.. وقد استغرقت على الشاشة حوالى 45 دقيقة.

سيناريو الحلقة

المشهد 1

ساحة فى قرية

فران آرام

نهار/ داخلى

- يأتى الينا صوت الراوى

على شاشة سوداء قبل

ظهور المشهد

صوت الراوى : عام 160 قبل

الميلاد .. قرية فران آرام

جنوب لبنان

حركة الرعى .. والحياة اليومية فى هذه

القرية ..

تتحول الكاميرا فى لقطات عامة

استعراضية تقدم لنا الجو العام

للقرية..

(اصوات الماشية والجو

العام للحركة فى القرية)

ونرى النبى يعقوب وسط

اغنامه .. لكن الكاميرا تمر عليه

مرور الكرام .. وتتجه الكاميرا

الى معبد مجوسى .. والكهنة

يدخلون اليه

- نظرة من يعقوب نحو المعبد

وحتى الأن لا يعرف المتفرج انه

يعقوب

المشهد 2

داخل المعبد

نهار/ داخلى

- إمراة من كهنة المعبد تمسك

احد الاطفال المواليد من قدميه

وهى تنظر الى تمثال عشتار ..

والى النار المشتعلة امام التمثال

– يعقوب يتطلع الى ما يحدث صامتا ..

الكاهنة تمسك الطفل

وتتوسل الى عشتار

الكاهنة : يا عشتار الكبيرة

ايتها الآلهة الأم .. ايتها الحنون

يا آلهة الخصب والولادة

ادخلى السرور الى قلب هذه

الأم القلقة واشفى ولدها

- أم الطفل تبكى وهى تتطلع

الى المشهد فى ترقب ..

– وهى تقربه من عشتار

الكاهنة : وفى المقابل نعاهدك على أن تتحف

معبدك بالهدايا والنذور القيمة

- الطفل يبكى .. والكاهنة

تقترب من أم الطفل

الكاهنة : سألت عشتار الكبيرة

ان تحفظ ولدك لكى لا يموت

واستجابت للدعاء

عليك أن تأتى بنذورك

- ثم تنصحها هى والأخريات ممن

يحضرن الطقوس : اذهبن واحضرن اولادكن بحيث

يكونوا من مريدى عشتار

واتباعها

الأم : أنا ممتنة لك ولعشتار الحنونة

فلتحيا عشتار

الأم : اشكرك غاية الشكر ..

كان ولدى مشرفا على الموت لكنك؛

اعدته للحياة

وتحمل الأم طفلها وتخرج وهى تتمتم بالدعاء

وتتحرك الكاميرا الى أم أخرى تحملا طفلا

بعد أن تتابع الأم الأولى وهى خارجة

مسرورة ..

المرأة تكلم زوجها

المرأة : لا ريب ان ولدنا سيشفى

ويعافى مثل هذا الولد

الزوج : عشتار آلهة حنونه وتقدر

ولا ريب.. انها ستسجيب

لصلواتنا

م/3

ساحة فى القرية

ليل/ خارجى

- يعقوب يمسك صحائفه فى يده

مخاطبا أهل القرية

يعقوب : ما الذى أصابكم يا قوم

أنتم نسل النبى الذى سجدت

له الملائكة

وها انتم تمرغون جباهكم امام

اصنامكم التى صنعتموها ..

اراكم تنقادون لحجر

- احد الرجال مستنكرا كلام يعقوب

الرجل : انت تأتى بهذه الترهات

من عندك

- يظهر احد كهنة المعبد ويفرق

أهل القرية

المشهد/4

فضاء القرية

نهار/ داخلى

لقطة عامة لحركة الناس

فى القرية

- يعقوب يرعى غنمه

ويتوسل الى الله بنزول المطر

– تتحرك الكاميرا الى المعبد..

حيث احتشد الناس .. يشهدون

محاكمة أحد الرجال لانه من اعداء عشتار

- رجال المعبد يمسكون الرجل المذنب

ويسوقونه الى مكان يحرقون

فيه أعداء عشتار وهو عبارة عن منجنيق

يقذفون فيه بالمتهم

زوجة الرجل تتوسل الى الكاهن

بان يعفو عن زوجها لانه لم يسب

عشتار .. لكنه لا يلتفت اليها ..

- يبدأ الرجل فى احكام وثاق الرجل

الى اللوح الذى سيتم قذفه من

خلاله الى النار ..

- يعقوب يقترب لاستطلاع الأمر ..

- كاهنة المعبد تزيد النار اشتعالا

الرجل المذنب يستغيث ..

- الكاهن يشير الى احدهم بأن يقرأ

عريضة اتهام الرجل ..

ويشير اليهم بتنفيذ الحكم

المرأة تتوسل ولا أحد يستمع اليها

- يعقوب متأثرا بما يحدث أمامه
- الكاهن يخبر زوجة الرجل بان تدفع الدية أو يموت زوجها حرقا
- يعقوب يعلن استعداده لدفع الديه لانقاذ الرجل واسمه (فارس)
- الكاهنة فى بداية الأمر ترفض بحجة ان يعقوب من اعداء عشتار فيطلب منها ان تقبض عليه ان ارادات.. ويحكى لها قصة جده نبى الله ابراهيم الذى القاه الأعداء فى النار فكانت بأمر الله برداً وسلاما عليه
- الكاهن يغضب ويأمر بالقبض على يعقوب
- هنا يظهر حاكم القرية «لبان» وهو شقيق زوجتى يعقوب «ليا» و«راحيل» وهما اختان وكان ذلك مباحاً فى هذا الوقت كما تقول بعض الكتب
- الكاهن يطلب 500 دينارا .. والحاكم يطلب من يعقوب أن يدفعها

ويحذره من التمادى فى الصدام

مع كهنة المعبد

- رجال المعبد يفكون وثاق (فارس)

المتهم وزوجته يسعدان بذلك

وبعدها يتجه الى يعقوب شاكرا

ويطلب العمل عنده حتى يمكن ان يسدد له

المبلغ

- الكاهن ينظر فى غيظ الى يعقوب

المشهد/5

امام منزل يعقوب

ليل/ خارجى

- نيران مشتعلة لزوم الطهى

وما الى ذلك

- بعضهم يحلب الأغنام
- فارس وقد بدأ الخدمة عند يعقوب

ونجده قد تحول الى التوحيد مؤمنا

بيعقوب

المشهد/6

امام المعبد

نهار/ خارجى

- أهل القرية يحملون الهدايا من

التمر وخلافه الى معبد عشتار

توسلا اليها لنزول المطر ..

يعقوب يسخر منهم ويخبرهم

بان اصنامهم هذه لا تملك لنفسها

ضراً ولا نفعا

- نرى ابنه الصغير بنيامين بجواره

يأخذه وينصرف

- الى الكاهنة تصلي وقد ذكرت

ان اسم القرية (حران) بينما قال

الراوى فى المقدمة انها «فران»

ويأتى صوتها من خارج الكادر

المشهد/7

المعبد من الداخل

نهار/ داخلى

- الكاهنة تهمس الى الكاهن

بما قال به يعقوب

وتتمنى له الموت وتدعو

اصنامها الى الانتقام منه

وتطلب من الكاهن ان يشكو

الى الحاكم «لبان»

المشهد/8

ساحة القرية

نهار/ داخلى

- احد الشباب وقد ربطوه

الى نخلة ويضربونه لانه

سرق

– الشاب يتوسل الى الحاكم ان

يحضر الكاهن .. الذى نراه

يخبره بما جرى من يعقوب

ويحذره من تماديه فى ذلك

المشهد/9

داخل المعبد

نهار/ داخلى

- الكاهنة تصلى وتتلو فى

كلماتها ان الخراب سوف

يحل على هذه القرية لان

أهلها لم يقدموا القرابين الى

عشتار

- الكاهن وقد جاء مع الحاكم

يواصل معه الحوار حول يعقوب

وتمرده على عشتار

- الحاكم يقول لهم تصرفوا لان

يعقوب لا يؤمن بهذه الأصنام

وهو لا يملك عقابه لانه يتلقى اوامره

من الحاكم الأعظم فى بابل

- الكاهنة تخبره بان هذا ما ستفعله

– احد أهل القرية يصيح بان

يعقوب سبب القحط الذى

حل على القرية

المشهد/10

ساحة القرية

نهار/ داخلى

راحيل وقد ظهرت عليها أثار الحمل

فى شهرها الأخير .. ترحب بابيها

الحاكم الذى جاء يشكو اليها

هى واختها ما يفعله يعقوب

- راحيل تخبره بانه لا يقول الا

ما يؤمن به عن جده إبراهيم

وابيه اسحاق من توحيد الآله

الواحد الأحد..

- الحاكم ينهر ابنته «ليا» .. ويحذرها

إن الأمر اذا بلغ الحاكم الأعظم فى بابل

وهو ما يهدد منصبه

ترد «ليا» بان عليه الا يخاف الا

من الله فهو القادر على كل شىء

- الأب غير مقتنع بذلك

ولكن فجأة تصرخ راحيل من ألم

الوضع

- تلتف حولها مجموعة من النسوة

- تقول احداهن انها على وشك

أن تضع مولودها

- الحاكم يرسل احدهم لاستدعاء يعقوب

- انه فى سهل جعدون

يرعى اغنامه ..

- الشاب فارس ينطلق فوق جواده

نحو يعقوب مخترقا حركة

الحياة فى القرية

المشهد/11

جبل المراعى

نهار/ داخلى

- يعقوب بين اغنامه واولاده

حوله .. يحكى لهم كيف جاء بهم

الى هنا فى الصحراء .. ويسألهم

مندهشا من افعال بنى اسرائيل

وبينما الاطفال يلعبون لاختيار

افضلهم الذى يصارع الآخر

يخبرهم يعقوب ان الأفضل

هو أحسنهم طاعة لله

- يظهر الخادم فارس.. من خلف

الجبل .. ينزل من فوق حصانه .. ويهمس

بالخبر الى يعقوب الذى

يوصى اولاده بجمع القطيع واللحاق

به .. ويركب فرسه نحو القرية

- الأولاد فى دهشة من انصراف ابيهم

على هذا النحو المفاجئ

المشهد/12

القرية

عند بيت يعقوب

نهار/ داخلى

- النسوة يهمسن الى بعضهن

بان يعقوب يفضل راحيل

عليهن .. ونعرف بان يعقوب

لديه أربع زوجات

- احداهن تقترح ان تحضر الكاهنة

لكى تقوم بعملية الولادة لراحيل

لانها بارعة فى ذلك

المشهد/13

غرفة راحيل

نهار/ داخلى

- راحيل راقدة فى حالة اعياء

والنسوة حولها ومنها اختها

ليا .. يتصبب منها العرق

وقد بلغ الاجهاد أقصاه

- تغيب عن الوعى.. تكون

الكاهنة قد حضرت تحاول افاقتها

تنظر اليها فى شماتة لان هذا

التعب الذى لحق براحيل جزاء

كفرها بعشتار

- الطفل الصغير بنيامين يبكى ..

تصحبه احداهن الى الخارج.

المشهد/14

امام البيت

نهار/ داخلى

- الحاكم ينتظر فى قلق

ليا تخرج تطلب من الاولاد

الدعاء لخالتهم

- الحاكم يحاول الاستفسار منها

عما جرى لكنها تدخل مرة أخرى

- حالة ترقب من بعض أهل القرية

ولسان حالهم يقول ان هذا

جزاء كفر يعقوب وأهله بالأصنام

المشهد/15

المعبد

نهار/ داخلى

الكاهن يصلى ويحذر من اعداء

عشتار ويحاول استثمار

الموقف فى جمع المزيد من القرابين

والهدايا

المشهد/16

امام البيت

نهار/ خارجى

- يعقوب وقد وصل ..

ينزل من فوق جواده ..

ويقترب من الحاكم يستفسر منه

عن زوجته

- تخرج «ليا» باكية .. وتبلغهم

بان حالتها سيئة للغاية

– يعقوب يطمئنها بان الله

معها .. ولن يتخلى عنها

لانه أقوى من أصنامهم ..

- يعقوب يخبره بانه يريد ان

يخلو الى ربه

- الحاكم يسخر من يعقوب ويطلب

منه اللجوء الى طبيب يقدم لزوجته

العلاج الشافى

- يعقوب يخبر الحاكم والد زوجته

بانه فعلا ذاهب الى الطبيب الحق

- الحاكم مستغربا من كلامه

المشهد/17

الخلاء

نهار/ خارجى

- يعقوب وقد استندا الى

نخلة فى لحظة صفاء النفس

- اختفاء تدريجى للصورة

المشهد/18

امام بيت يعقوب

نهار/ داخلى

الحاكم يوصى أحد رجاله باستدعاء

الكاهنة استر

وبانه سيجزل لها العطاء

ان هى ساعدت ابنته

- امرأة تحذر من لعنة بابل

الحاكم يرجمها بحجر غاضبا

من كلامها

- الرجل يذهب الى المعبد لاستدعاء

استر

المشهد/19

المعبد

نهار/ داخلى

- الكاهنة بوجه غاضب ترفض

الذهاب الى راحيل وتقول

للجندى الذى جاء يستدعيها

اطلبوا من إله يعقوب ان ينقذها

لكن الكاهن يظهر ويهمس اليها بان

انقاذها فرصة جيدة لكى لا يتكلم

يعقوب بعد ذلك عن آلهته

- الكاهنة ترد : دعها تموت

المشهد/20

غرفة راحيل

ليل/ خارجى

- راحيل ما تزال فى نومها

غائبة عن الوعى ..

والنسوة يحيطن بها

- ليا تحضر بخورا لكى تفيق

المشهد/21

امام البيت

ليل/ خارجى

- الحاكم يبدو حزينا
- الكاهنة وقد جاءت على مضض

تخبرهم فى ثقة بانهم سيعرفون

اى الآلهة هو الأقوى

وتعيد تذكير الحاكم بان إله يعقوب

لماذا لا يتدخل فى هذا الوقت

- يعقوب يحاول منع الكاهنة من

الدخول الى إمراته ويخبرها

بان الحياة بيد الله وراحيل

تحتاج الى ربها وليس الى اصنامهم

مجدداً تتهم يعقوب بالكفر

وتهدده بانها سوف تسحره

- يعقوب لا يبالى بكلامها وتهديدها
- الحاكم ينظر الى اولاد يعقوب بنظرات

حزينة .. لا يدرى ماذا سيحدث؟!

(نهاية الحلقة)